نظر المظالم منذ بداية العصر الإسلامى حتى نهاية العصر المملوكى فى ضوء البرديات العربية

تعريف المظالم

من الظلم وهو اسم من ظلمه، من باب ضرب، ومظلمة بفتح الميم وكسر اللام، وتجعل المظلمة اسماً لما تطلبه عند الظالم، كالظلامة بالضم، وظلمته بالتشديد نسبته الى الظلم(١)، والمقصود بالظلم هو وضع الشئ فى غير موضعه، ويقال تظلم فلان من فلان فظلمه تظليماً اى أنصفه من ظالمه وأعانه عليه(٢)، فى الشريعه عبارة عن التعدى على الحق إلى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف فى ملك الغير ومجاوزة الحد(٣).

والمقصود بالمظالم الشكاوى التى كانت تُرفع ضد الموظفين بالدواوين وغيرهم، وكان يُكتب فيها عادة أسباب الشكوى والمتسبب فيها(٤)، وكان منصب "صاحب المظالم" يُعرف باسم "النظر فى المظالم"، وهو من المناصب القضائية الهامة(٥) وكان هذا المنصب موضوع من أجل فض المنازعات التى يعجز عن نظرها القضاء، وتتطلب بسط سلطان القانون على المسئولين ورجال الدولة وهى بذلك تجمع بعض سلطات القضاء وإجراءاته فى أحوال كثيرة، ولكنها ليست عملاً قضائياً خالصاً، بل هى تُعد قضاء استثنائى يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو الصلح أو التوفيق الخيرى(٦).

وكان من شروط الناظر فى المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع وكثير الورع، لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، أو أن يكون بجلاله القدر نافذ الأمر فى الجهتين (كالخلفاء أو من فوض إليه الخلفاء النظر فى أمور العامة)(٧).

والظلم له ثلاثة أنواع، الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله وأعظمه الكفر والشرك والنفاق وفيه قال تعالى "**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**"(٨)، الثانى: ظلم الإنسان لنفسه وفيه قال تعالى "**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**"(٩)، الثالث: ظلم الإنسان

---

(١) أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرى (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٤٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثانى عشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨م، ص ٣٧٣- ٣٧٤.

(٣) على بن محمد السيد الشريف الجرجانى (ت ٨١٦هـ)، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوى، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٢١.

(٤) سمير عبد الله سليمان، الدواوين فى مصر خلال العصر الفاطمى ٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ١٧٥.

(٥) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣م، ص ١٥٥- ١٥٦.

(٦) سمير عبد الله، الدواوين فى مصر، ص ١٧٥

(٧) على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مراجعه: محمد فهمى السرجانى، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، ١٩٧٨م، ص ٨٦.

(٨) سورة لقمان، آية ١٣.

(٩) سورة فاطر، آية ٣٢.

للناس وفيه قال تعالى "**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**"(١)، ونظر المظالم يركز بشكل كبير ورئيسى على ظلم الإنسان للناس.

النهى عن الظلم فى القرآن الكريم

كان النهى عن الظلم والحرص على رد المظالم أحد الركائز الأساسية التى بنيت عليها دولة الإسلام، وقد حرص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على تطبيقها وعدم التفرقة فيها ما بين المسلمين وغير المسلمين، كما ورد فى القرآن الكريم كثير من الآيات تحض على العدل وتنهى عن الظلم والتى كانت دافعاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن تبعه من صحابته فى توخى الحذر فى جميع أعمالهم حتى لا يقوموا بظلم أحد أو الاعتداء عليه.

فتضمن القرآن الكريم على ١٩٠ آية تقريباً ورد بها لفظ الظلم ومشتقاته مثل "ظلمونا، يظلمون، ظلموا أنفسهم، ظلمتم أنفسكم، تظلمون، وما ظلمهم الله، ظلمناهم، ظلم، بظلمهم، ليظلمهم،ظلمات، أظلم، ظلما، ظلمه، يظلم، فبظلم، بظلم، ظلمنا"، من هذه الآيات قوله تعالى"**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**"(٢) وفى هذه الآيات يبين الله سبحانه وتعالى أنه لا يحب أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً مظلوماً فإنه قد رخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك في قوله: {إلا من ظلم} وإن صبر فهو خير له، وقال تعالى"**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**"(٣) وفى هذه الآيات تحذير ووعيد للذين يظلمون الناس بغير الحق ويبين أن عاقبتهم ليست فى الدنيا ولكنها فى الآخرة وذلك في قوله: {أى منقلب ينقلبون}، وقال تعالى "**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**"(٤) ففى هذه الآيات الكريمات ذم للظلم وللظالمين الذين يظلمون الناس ويفسدون فى الأرض بظلمهم فإن لهم فى الآخرة عذاب أليم.

ما ورد فى السنة النبوية الشريفة فى ذم الظلم.

بالإضافة لما ورد فى القرآن الكريم من آيات قرآنية للنهى عن الظلم نجد أن الأحاديث الشريفة قد تضمنت عدداً من الأحاديث التى تبين أهمية رد المظالم بين الناس وأهمية الابتعاد عن الظلم فى الدنيا وضرورة رد المظالم أثناء الحياة خوفاً من العاقبة فى الآخرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل بمنزله كان فى الدنيا)(٥)، فى هذا الحديث يبين لنا

---

(١) سورة الشورى، آية ٤٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٤) سورة الشورى، الآيات ٤٠- ٤٣.

(٥) البخارى ٢٤٤٠.

رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة لا يكون إلا بعد أن يتخلص وينقى المسلمون نهائياً من جميع المظالم التى أحدثوها فى الدنيا، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمرنا بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعى وإبرار المقسم[١]، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين"[٢] ففى هذا الحديث ذم فى الاعتداء على أملاك وأراضى الآخرين.

كما ورد فى السنة الشريفة ما يدل على نظر الرسول صلى الله عليه وسلم للمظالم بين المتنازعين، منها ما ورد عن نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم فى الشرب الذى تنازعه الزبير بن العوام ورجل من الأنصار، فحضره بنفسه[٣] فروى أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير فى شراج من الحرة يسقى بها النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير فأمره بالمعروف ثم أرسل إلى جارك فقال الأنصارى إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم قال اسق ثم احبس حتى يرجع الماء إلى الجدار واستوعى له حقه فقال الزبير والله إن هذه الآية نزلت فى ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فقدرت الأنصار والناس قول النبى صلى الله عليه وسلم اسق ثم احبس حتى يرجع إلى الجدار وكان ذلك إلى الكعبين[٤]، وقد عد المؤرخون ومنهم الماوردى على اعتبار هذه القضية داخلة فى نطاق نظر المظالم أن أحد المتداعيين فيها ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الزبير بن العوام[٥].

الفرق بين القضاء ونظر المظالم

كانت مهمة والى المظالم الفصل فى المشاكل المستعصية على القاضى والمحتسب وينعم بسلطه قضائية أعلى من سلطتيهما، فهو ينظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد على الأمراء والولاة والقضاة[٦]، وقد حدد كل من الفراء[٧] الفراء[٧] والماوردى[٨] عشر فروق بين كل من القضاء وولاية المظالم منها:

---

(١) البخارى ٢٤٤٥.

(٢) البخارى ٢٤٥٢.

(٣) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٦.

(٤) البخارى ٣٦٣٤.

(٥) ظافر القاسمى، نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى السلطة القضائية، دار النفائس- بيروت، ١٩٧٤م، ص ٥٥٧.

(٦) خالد محمد الحريرى، قاضى القضاة ودوره فى دولة المماليك البحرية ٦٥٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٦٠- ١٣٨٢م، رسالة ماجستير، كلية الأداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، ٢٠١١-٢٠١٢م، ص ٢٥- ٢٦.

(٧) أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ)، الأحكام السلطانية، صححه: محمد حامد الفقى، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٧٩-٨٠.

(٨) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٩٣-٩٤.

١ – أن لوالى المظالم من قوة اليد والهيبة فى كف الخصوم عن التشاجر ما ليس للقضاة

٢– أن والى المظالم ليس ملزماً بالسير على القواعد التى يسير عليها القضاة عادة، بل يجوز له أن يغيرها ويسير وفقاً لما يراه مناسباً للوصول إلى الحقيقة.

٣– من حق والى المظالم أن يلزم الفريقين بالتحكيم، وهو الذى يسموه "وساطة الأمناء"، وهذا الإلزام بالتحكيم يعود تقديره إلى والى المظالم وحده وفى حالات خاصة وهى التباس وجه الحق عليه.

٤– لوالى المظالم أن يحلف الشاهد فى حالتين، الأولى: أن يرى هو ضرورة ذلك عند ارتيابه، الثانية: أن يبذلوا هم أيمانهم طوعاً وأن لا يكرهوا عليها، وهذا خلاف القضاء الذى لا يُحلِّف الشاهد إلا إذا ألح المشهود عليه.

٥– لوالى المظالم أن يبتدئ باستدعاء الشهود، ويسألهم عما عندهم فى تنازع الخصوم، وعادة القضاة تكليف المدعى إحضار بينته ولا يسمعونها إلا بعد مسألته(١).

وكانت اختصاصات والى المظالم تزيد عن القاضى نظراً لأن الخلفاء والسلاطين كانوا فى كثير من الوقت هم من ينظرون فى المظالم بأنفسهم، ففى عصر الدولة الأموية نجد أن الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد أن زاد جور الولاة وظلم العتاة قام بالنظر فى المظالم بنفسه وفى هذا جمع ما بين قوة السلطة وتنفيذ الأحكام وبين القضاء(٢)، واستمر هذا الوضع فى عهد الخلفاء العباسيين أيضاً، أما فى عهد الخلافة الفاطمية فى مصر فقد أوكل هذا المنصب فى بعض الأحيان إلى قاضى القضاة بسبب معارفه القانونية، ولكن فى أوقات أخرى كان يعهد به إلى موظف آخر يكلف مباشرة من الخليفة مثل صاحب الباب(٣)، وفى جميع الأحيان وأياً كان متولى المنصب فقد كان كان يشترط فيه أن يكون عظيم الرهبة، عالى اليد له سطوة الحماة، لأن نظر المظالم منصب ترتكز عليه هيبة الدولة(٤).

وفى عهد الدولة الأيوبية خصص صلاح الدين يومين كاملين فى الأسبوع يجلس فيهم لنظر المظالم، فى مجلس يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء، كما استمر جلوس العزيز عثمان بن صلاح الدين من بعده أيضاً(٥)، وفى عصر دولة المماليك أشرف السلاطين أيضاً على نظر المظالم فكان السلطان الظاهر بيبرس أول من تولى النظر

---

(١) ظافر القاسمى، نظام الحكم فى الشريعة، ص ٥٧٤– ٥٧٥.

(٢) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٧.

(٣) صاحب الباب: وظيفة اشتهرت فى العصر الفاطمى بمصر، وهى من الوظائف الخاصة بالجنود وهى تلى الوزارة فى المرتبة، وكان يعادلها فى العصر المملوكى وظيفة النائب الكافل، وكان وظيفة صاحب الباب النظر فى المظالم، فاذا كان هناك وزيراً مختصاً بهذا، أصبح صاحب الباب من جملة من يقف فى خدمة هذا الوزير. أبى العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الجزء الثالث، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٤م، ص ٤٨٣.

(٤) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر، ج ١، ص ١٥٧.

(٥) أحمد خزعل ثامر، الإدارة فى العصر الأيوبى (٥٦٧– ٦٤٨هـ/ ١٧١١–١٢٥٠م) فى مصر وبلاد الشام واليمن والجزيرة الفراتية (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص ١٥٤.

فى المظالم من سلاطين المماليك ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م بدار العدل[١]، واستمر من بعده سلاطين الدولة المملوكية فى نظر المظالم بأنفسهم[٢].

وكان لمجلس المظالم تشكيل لا يعقد إلا باستكماله وهو:

١ – الحماة والأعوان لجذب القوى وتقويم الجرئ.

٢– القضاة والحكام للاستعلام عن المتخاصمين.

٣– الفقهاء ليرجع إليهم والى المظالم فيما يشتبه فيه.

٤– الكُتاب ليدونوا ما يجرى بين المتخاصمين وما لهم وعليهم من الحقوق والواجبات.

٥– الشهود ليشهدوا على الحق، فإذا استكمل المجلس تشكيله انعقد ونظر فى المظالم المقدمه إليه.[٣]

نظر المظالم فى عهد الخلفاء الراشدين

ذكر الفراء والماوردى أن الخلفاء الأربعة لم يلجئوا إلى نظر المظالم فى المنازعات التى كانت تحدث، ولكنهم لجئوا إلى القضاء لإنهاء الخصومات[٤]، ولكن هذا القول يحتاج إلى المراجعة ذلك بأنه إذا كان قضاء المظالم فى الأصل للتظلم من أعمال الولاة، فإن الخليفة عمر بن الخطاب قد فعل هذا، ولكن بالطريقة التى اجتهد بها، فلقد كان يدعوا عماله فى كل سنة فى موسم الحج، ويستمع إلى شكاوى الناس، وكان إذا وردت عليه شكوى من أحد عماله استدعاه وأنصف الشاكى. وكان إذا اشتكى إليه من ابن أحد ولاته، أو أمرائه، استدعاه مع ولده واقتص منهما، وقصته مع عمرو بن العاص وولده حين ولايته على مصر مشهورة، ويكفى العلم أن عمر أقر المبدأ الذى نسميه اليوم "إساءة استعمال النفوذ" أضف إلى ذلك أن عمر قد قاسم بعض العمال أموالهم، لم يستثن أحداً. هذا كله، وغيره مما فعل عمر، معروف فى سيرته، من قضاء المظالم الذى يتولاه الخليفة بنفسه، بطلب من أحد الرعية، أو بغير طلب[٥].

أما فى عهد الخليفة علي بن أبى طالب فقد تأخرت إمامته واستهان الناس بالظلم فلجأ إلى فصل المظالم عن القضاء، وهناك العديد من الروايات التى تدل على رد الخليفة على بن أبى طالب للمظالم منها أنه كان بعد خروجه من المسجد يمر فى الأسواق لينظر فى أمور الناس فمر على أصحاب التمر فإذا بخادمة تبكى فقال: ما يبكيك؟

---

(١) دار العدل: أطلق عليها المقريزى دار العدل القديمة وموضعها تحت قلعة الجبل، بناها السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى عام ٦٦١هـ، كان يجلس فيها يومى الاثنين والخميس للنظر فى المظالم، واستمرت بهذا الشكل حتى بنى السلطان المنصور قلاوون الإيوان فهجرت دار العدل وحل بدلاً منها الإيوان بالقلعة، وفى عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون هدم دار العدل وبنى بدلاً منها الطبلخانه. تقى الدين ابى العباس أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثالث، مكتبة الاداب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٣٣.

(٢) خالد محمد الحريرى، قاضى القضاة ودورة فى دولة المماليك البحرية، ص ١٠٨.

(٣) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٩.

(٤) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٧.

(٥) ظافر القاسمى، نظام الحكم فى الشريعة، ص ٥٥٨.

فقالت باعنى هذا الرجل تمراً بدرهم فرده مولاى، فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمها، فإنها ليس لها أمر فدفعه[١]، وهذا يدل على نظر الخليفة علي للمظالم سواء بطلب من الرعية أو بغير طلب.

كما فصل الخليفة علي بن أبى طالب فى العديد من القضايا بنفسه مثل القضاء فى المنبرية[٢] والقضاء فى القارصة والقامصة والواقصة بالدية[٣]، وقضى فى ولد تنازعته امرأتان[٤]، وهذا يدل على قضاء الخليفة علي فى غوامض الأحكام[٥]، على الرغم من وجود قضاة داخل الدولة الإسلامية، لذلك يستدل المؤرخون أن فى عهد الخلفاء الخلفاء الراشدين وخصوصاً الخليفة الرابع علي بن أبى طالب قد فصل القضاء الذى يقوم عليهم قاضى مستقل عن الخليفة، فصل عن نظر المظالم التى أصبح يتصدى لها الخليفة بنفسه ليفصل فيها مباشرة.

نظر المظالم فى عهد الدولة الأموية:

انتشر فى عهد الدولة الأموية الظلم وتجاهر الناس به فاحتاجوا إلى رادع للظالم وأنصاف للمظلومين يمتزج به قوة السلطة بإنصاف القضاة، فكان الخليفة عبد الملك بن مروان أول من خصص يوماً ينظر فيها المظالم ولكن كان يوكل تنفيذ أحكامها قاضيه، واستمر هذا الوضع حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى باشر بنفسه نظر المظالم وردها وخصوصاً تلك المظالم التى كان المشكو فى حقه فيها من بنى أميه أو من عماله[٦].

وتمدنا المصادر التاريخية بنصوص تؤكد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى رد المظالم إلى أهلها فذكر ابن عبد الحكم فى كتابه: الكتاب الذى أرسله الخليفة إلى عماله لرد المظالم ونصه:" أما بعد فَإِنِّي كنت كتبت إِلَيْكُم برد الْمَظَالِم ثمَّ كتبت إِلَيْكُم أَن تحبسوها ثمَّ كتبت إِلَيْكُم بردهَا فاطلعت من بعض أَهلهَا على خيانات وشهود زور حَتَّى قبضت أَمْوَالًا قد كنت رَددتهَا ثمَّ رَأَيْت أَن أردهَا على سوء ظن بِأَهْلِهَا أحب إِلَيّ من أَن أحبسها حَتَّى ينجلي

---

(١) عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، الجزء الحادى عشر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٠٦.

(٢) المنبرية: مسألة فى الميراث، توفى رجل عن زوجة وبنتين وأم وأب، وفيها عول أى زيادة انصباء أصحاب الفروض على التركة، فتقسم التركة بينهم بنسبة أنصبائهم. وسميت المنبرية لأن الخليفة علي بن أبى طالب سئل عنها وهو يخطب على منبر الكوفة، فأفتى علي ببديهته بأن للزوجة تسع التركة ولما قال له السائل أليس للزوجة الثمن؟ قال: صار ثمنها تسعاً، ومضى فى خطبته، فتعجبوا من فطنته، وبيانه أن الزوجة كان لها ثلاثة من أربعة وعشرين فصار لها بالعول ثلاثة من سبعة وعشرين وهى التسع. محمد عبد القادر أبو فارس، القاضى أبو يعلى الفراء وكتابة الأحكام السلطانية، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٧٤م، هامش ١، ص ٥١٠.

(٣) القارصة والقامصة والواقصة هن ثلاث جوار كن يلعبن فتراكبن، فقرصت السفلى الوسطى، فقمصت الوسطى، فسقطت العليا، فوقصت عنقها، فجعل ثلثى الديه على الاثنتين، وأسقط ثلث العليا لأنها أعانت على نفسها. محمد عبد القادر، القاضى أبو يعلى الفراء، هامش ١، ص ٥١١.

(٤) حين اختصم اليه المرأتان فى الولد، وكل واحدة تقول هو ابنى، دعا بسكين ليشقه بينهما شقين، فقالت أحدهما، وفزعت هولها، فعلمت أنه ولدها، وهذا قضاء سليمان بن داود عليهما السلام فى مثلها. محمد عبد القادر، القاضى أبو يعلى الفراء، هامش ٢، ص ٥١١.

(٥) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٧.

(٦) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٧.

الْأَمر من غَد على مَا ينجلي عَنهُ فَإِذا جَاءَك كتابي هَذَا فارددها على أَهلهَا وَالسَّلَام عَلَيْك"[١]، كما ذكر ابن عبد الحكم ما يؤكد اتباع الخليفة نفسه هذا " كَانَ عمر بن عبد الْعَزِيز يرد الْمَظَالِم إِلَى أَهلهَا بِغَيْر الْبَيِّنَة القاطعة وَكَانَ يَكْتَفِي باليسير إِذا عرف وَجه مظْلمَة الرجل ردهَا عَلَيْهِ وَلم يكلفه تَحْقِيق الْبَيِّنَة لما يعرف من غشم الْوُلَاة قبله على النَّاس وَلَقَد أنفد بَيت مَال الْعرَاق فِي رد الْمَظَالِم حَتَّى حمل إِلَيْهَا من الشَّام"[٢] وهذا النص يوضح الفرق بين رد المظالم والقضاء، فما ذكره ابن عبد الحكم يوضح أن الخليفة لم يكن ينتظر وجود دلائل قاطعة لرد الحقوق لأصحابها بل كان يكتفى بتظلم الرجل ليرد عليه حقوقه دون وجود دلائل لهذا الحق، فيذكر أن رجلاً جاء إلى الخليفة يشكوه إليه من عروة بن عياض عامله على مكة فى ذلك الوقت، وقال إن عروة ظلمه بمال له فأمر الخليفة برد هذه الأموال فوراً إلى الرجل[٣].

هذا وتمدنا البرديات العربية بدلائل لا تقبل الشك باتباع خلفاء بنى أميه نظام نظر المظالم من خلال أقدم التماس عثر عليه مسجل على الجلد ويعود إلى فترة حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز، وهذا الالتماس محفوظ بمعهد الدراسات الشرقية للمخطوطات بمدينة سان بطرسبورج بروسيا برقم *P.Petersb.Acad.inv. B-12 hairside* ونصه[٤]: (لوحة ١)

١- بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
٢- للأمير الجرّاح بن عبد اللّه من مولاه ديواشتي
٣- السّلم عليك أيّها الأمير
٤- ورحمت اللّه فإنّي أحمد إليك
٥- اللّه الّذي لا إله إلّا هو
٦- أمّا بعد ****** أصلح اللّه الأمير وأمتع
٧- به فإنّي *********
٨- للأمير حاجتي وحاجة ابني طرخون وإنّ
٩- الأمير أمتع اللّه به ذكر ابني طرخون بخير
١٠-فإن را الأمير من الرّأي أن يكتب
١١- إلى سليمن ابن بي السّريّ فيبعث بهما إلى الأمير
١٢-فليفعل أو يأمر لي الأمير بدابّة من دوابّ
١٣-البريد فابعث عليها غلامي يأت بهما
١٤- الأمير فإنّ اللّه جعل قدم الأمير لأهل

---

(١) عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص ٨١.

(٢) بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ١١١.

(٣) بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ١١٩.

(4) Krachkovsky I. J., Drevneyshiy Arabskiy Dokumentiz SredneyAzii. In: Izbrannyesochineniya, I, Moscow- Leningrad, 1955, P. 182- 212.

١٥- المط********. غياث ورحمة

١٦- أسل اللّه لـ*******. والسّلم عليك أيّها الأمير ورحمت اللّه

فهذا الالتماس مرسل من أحد الأشخاص ويدعى "ديواشتى" إلى الأمير الجراح بن عبد الله[١] والى خراسان وهو مؤرخ بعام ١٠٠هـ/ ٧١٨-٧١٩م[٢].

فى خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز، ويبدو أن "ديواشتى" يريد أن يرسل بعض الأشياء الى الأمير ولكنه ليس عنده وسيله لهذا، لذا فهو يطلب من الأمير إما أن يطلب من سليمان بن أبى السرى أن يرسلها إليه، أو يخصص له دابة من دواب البريد يرسل عليها غلامه لإيصال حاجته هو وابنه إلى الأمير.

نظر المظالم فى عهد الدولة العباسية

لم تذكر لنا المصادر التاريخية الكثير عن رد المظالم فى عصر الدولة العباسية، فاكتفى الفراء والماوردى بذكر "أن أول من جلس لها المهدى ثم الهادى ثم الرشيد ثم المأمون فآخر من جلس لها المهتدى حتى عادت الأملاك إلى مستحقيها"[٣]، فى حين ذكر الطبرى "رفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ جزءًا من ضيعته، فأضافه إلى ماله، فوقع إلى عامله فى رقعة المتظلم: إن آثرت العدل صحبتك السلامة، فأنصف هذا المتظلم من هذه الظلامة"[٤].

ويوضح ما ذكره الطبرى طريقة تقديم المظالم إلى الخليفة فى العصر العباسى، حيث كانت تقدم المظالم بأحد الطريقتين الأول مشافهة أمام الخليفة مباشرة فى الأيام التى كان يخصصها لنظر المظالم، والثانية بتقديم مظلمته مسجلة على قطعة من البردى أو الورق وفى هذه الحالة يقوم الخليفة بالرد على ظهر البردية بما ينصف المتظلم ويعيد إليه حقه الذى سلب منه.

وقد حفظت لنا أوراق البردى عدداً من التظلمات التى كانت ترسل إلى الخليفة مباشرة أو إلى أحد ولاته في الأقطار الإسلامية المختلفة، منها التماس مسجل على ورقة بردى محفوظة بمجموعة *Michaelides* بجامعة كامبريدج برقم *P. A 767* نصه[٥]: (لوحة ٢)

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- اطال الله بقاء سيدى

---

(١) الأمير الجراح بن عبد الله الحكمى المعروف بأبو عقة، ولى البصرة فى خلافة الوليد بن عبد الملك تحت يد الحجاج بن يوسف الثقفى، ثم ولى خرسان وسجستان فى عهد سليمان بن عبد الملك وعزل منها فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ثم عاد مرة أخرى وتولى ولاية خرسان وسجستان عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، قتل أثناء جهاده عام ١١٢هـ. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء السابع، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ٣٣٥- ٣٣٦.

(2) Khan, G., The historical development of the structure of medieval Arabic petitions, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 53 (1990), P. 8.

(٣) الفراء، الأحكام السلطانية، ص ٨٠؛ الماوردى، الأحكام السلطانية، ص ٨٧.

(٤) ظافر القاسمى، نظام الحكم فى الشريعة، ص ٥٦٧.

(5) Khan, The historical development, P. 14.

٣- دوابنا بلا تبن وجيت لاكلمك
٤- وكان عندك اخوك اعزه الله
٥- فلم يتهيا لى ذلك وكتبت
٦- الى سيدى لاعلمه ذلك ان شا الله
٧- فان راى سيدى انصره الله ان تامر لها
٨- اخذ التبن فانها لا علف فعل ان شاء الله
٩- اطال الله بقاء سيدى

هذا الالتماس موجه من رجل فقير ربما يكون فلاحاً او راعياً للماشية، توجه إلى سيده ربما المقصود به والى القرية المقيم بها وأراد أن يتظلم من عدم وجود غذاء وتبن للدواب، وكانت وسيلة التظلم فى البداية مشافهة ولكنه وجد أن سيده يستقبل ضيفاً وهو أخيه، لذا لجأ إلى كتابة تظلمه على قطعة من ورق البردى وإرسالها إليه، انتظاراً لما سيقوم به سيده من صرف التبن الذى تحتاج إليه الدواب.

التماس آخر مؤرخ بالقرن الثانى الهجرى محفوظ بهايدلبرج بألمانيا برقم *Inv. Arab.22* نصه[1]:

وجهة البردية: (لوحة ٣)

١- اما بعد
٢- امنه و . [.] حسب.....
٣- فانى بعثت اصلحك الله سفينتى الى
٤- اخميم فان رايت امتع الله بك ان تكتب لنو
٥- تيها الى العمال ان لا يعترضوها فعلت
٦- اصلحك الله فانه ليس باول معروفك الى
٧- وذلك مما ترفق بى رفق الله بك فى
٨- امرك كله واطال بقاك
٩- وقد كنت اعلمتك الذى بينى وبين
١٠- هلستوص من الاخا وحرصى على منفعته
١١- فاستوص به عافاك الله واراك
١٢- العافية فى امورك كلها فان بقاك
١٣- مما نحب وندعو الى الله به فادام
١٤- الله بقاك فى عافية من الله لك
١٥- وتمام نعمته عليك والسلم عليك
١٦- ورحمت الله

(1) Diem, W., Arabische Briefe auf Papyrus und Papieraus der Heidelberger Papyrus-Sammlung, otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1991, p. 13-14.

ظهر البردية: (لوحة ٤)

١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- اما بعد
٣- هذا كتاب لفلان بن فلان النوتى من ..... الى كل اصحابى انه ذكر
٤- ان ابا خير بعثه نوتى سفينته الى ..... فسالنى ان اكتب على من يوخرها بالظلم
٥- والامير اصلحه الله ينهى ان توخر السفينة فمن لقى السفينة فلا يعرض لها الا بخير
٦- ولا يجعل على نفسه فيها سيلا ان شا الله وكتب .....
٧- يوم الجمعة ....

هذا الالتماس يتضمن الشكوى على الوجه ورد الشكوى على الظهر، فعلى وجه البردية سجلت الشكوى أو المظلمة أن سفن الشاكى تتعرض للضرر والتعطيل من قبل عمال الأمير أو الوالى لذلك فإنه يطلب منه أن يبعث إلى عماله يأمرهم بعدم التعرض لسفنه أثناء مرورها، فجاء الرد مسجل على ظهر المظلمة أو الشكوى وموجه لعمال الوالى ينهاهم فيه عن التعرض للسفن بأى ضرر أو أذي وأن يتركوا السفن تمر بخير.

وجاءت المظالم المسجلة على ورق البردى لتؤكد ما أوردته المصادر التاريخية من حرص الخلفاء والأمراء فى عصر الدولة العباسية على رد المظالم ويظهر ذلك من خلال الأمثلة التى استعرضناها من أوراق البردى والتى تؤكد أن المظالم كانت تعرض إما مشافهة او مسجلة على رقعة من الورق، وأن الخلفاء والأمراء كانوا يحرصون على الرد على هذه المظالم ورد الحقوق لأصحابها كما نرى فى البردية الثانية.

نظر المظالم فى عهد الدولة الفاطمية:

كان نظر المظالم فى عهد الدولة الفاطمية تحت سلطة الخليفة يسند إلى شخصاً يسمى "قاضى المظالم" يعين مثل أى موظف آخر فى الدولة، وأحياناً أخرى كانت تسند إلى موظف كبير بالإضافة إلى وظيفته الأصلية مثل قاضى القضاة الذى كان يشغل أحيانا هذا المنصب بسبب معارفه القانونية، أو يسند المنصب إلى صاحب الباب كما سبق الذكر وهو يعادل الوزير فى منصبه(١).

وكان الخليفة فى بعض الأحيان يتصدى بنفسه لنظر المظالم، فيذكر المقريزى أن هناك موضع بالقصر الكبير اسمه "السقيفة" يقف عنده المتظلمون، وكان من عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين، فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولى الله، فيأمر الخليفة أن يقف بين يديه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضى أو الوالى(٢).

أما مجلس المظالم فكان يعقد فى "باب الذهب" القصر الكبير حسب ترتيب خاص يتغير وفق رئيس المجلس، فإذا كان وزير وجب أن يحتفظ مجلسه بمظهر القوة ويمثل فيه جميع عناصر الدولة: فكان يتكون من القاضى وبين يديه الحجاب ومن جانبه شاهدان من أهم الشهود، وصاحب بيت المال وصاحب الباب وقائد العسكر

---

(١) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، الجزء الاول، ص ١٥٦- ١٥٧.

(٢) المقريزى، المواعظ والاعتبار، الجزء الثانى، ص ٢٤٨.

"الاسفهسلار"[١]، كما كان يحضر أيضاً كاتبان من كُتاب القصر لتسجيل ما يتخذ المجلس من قرارات، وإذا لم يوجد وزير فإن عدد المشتركين يكون أقل، فكان يرأس المجلس "صاحب الباب" وبين يديه الحجاب وقواد بعض الطوائف الحربية "النقياء"، أما إذا كان المجلس فى يد موظف ينفرد به غير صاحب الباب مثل "قاضى المظالم" فإنه يجلس وبين يده الشهود العدول، وكان له حق استدعاء أى موظف آخر للإدلاء برأيه[٢].

أما عن كيفية تقديم المظالم والرد عليها فى العصر الفاطمى فيذكر لنا المقريزى أن المجلس إذا انعقد نادى المنادى على أصحاب التظلمات فيحضرون، فمن كان تظلمه مشافهة أرسلت إلى الولاة والقضاة رسالة بها، ومن تظلم وليس من أهل البلد سجلها فى ورقة "قصة" ويتسلمها الحاجب ويجمعها ويرسلها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم ترسل إلى الموقع بالقلم الجليل فيوضح ما أشار به صاحب القلم الدقيق، ثم تحمل إلى الخليفة فيوقع عليها، ثم تخرج إلى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم صاحب كل مظلمة مظلمته[٣].

وكانت المظلمة إذا أرسلت إلى الخليفة يوقع عليها "يعتمد ذلك إن شاء الله تعالى" ويوقع فى الجانب الأيمن، فتخرج المظلمة إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلاً ويخلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم "الحمد لله رب العالمين" وكان الخليفة يوقع فى المسامحة والتسويغ "قد أنعمنا بذلك وقد أمضينا بذلك"، وكان إذا أُرسلت المظلمة إلى الوزير وقع "وزيرنا السيد الأجل وذكر نعته المعروف به أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك إن شاء الله تعالى" فيكتب الوزير تحت خط الخليفة "يمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت فى الدواوين[٤].

ويتضح مما أوردته المصادر التاريخية أن نظر المظالم فى عصر الدولة الفاطية قد اتخذ شكلاً رسمياً أكثر مما ذى قبل، كما أصبحت له قواعد تنظم استقبال المظالم وكيفية الرد عليها، وكان السبب وراء ذلك هو انتشار الظلم وحرص خلفاء الدولة الفاطمية على رد الحقوق لأصحابها، ولم ينفرد الخليفة فقط بالنظر فى المظالم بل أصبح هناك عدد من رجال الدولة ينوبون عن الخليفة مثل الوزير أو صاحب الباب أو قاضى القضاة أو أحد موظفى الدولة التى أُطلق عليه فى هذه الحالة "قاضى المظالم"، كما كان هناك أماكن مخصوصة لتقديم هذه المظالم وهى تقدم مشافهة أمام الخليفة فى السقفية، أو تقدم مكتوبة عند باب الذهب فى القصر الكبير.

---

(١) الاسفهسلار: يقال ايضا اسفهسالار واصفهسلار وربما حرفته العامة أحيانا الى اسباسلار، وهو مركب من لفظتين: اسفه الفارسية بمعنى المقدم أو الرائد، وسلار التركية بمعنى العسكر أو الجيش، وبذلك يكون المعنى الكلى مقدم العسكر أو قائد الجيش، وقد عرفت هذه الوظيفة فى الدولة العباسية التى يقال انها نقلتها عن الفرس، وقد شاع استخدامها بصفة خاصة عند السلاجقة والاتابكة، وقد عرفت هذه الوظيفة فى عصر الدولة الفاطمية ومن المعتقد انها نقلت اليها من الدولة العباسية، وكان لا يفوقها غير وظيفتى الوزير وصاحب الباب، وكان الاسفهسلار فى الدولة الفاطمية هو زمام كل شئ، أى المشرف على جميع المشرفين، وكان من أقرب المقربين إلى الخليفة. حسن الباشا، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٧٣- ٧٩.

(٢) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، الجزء الاول، ص ١٥٨- ١٥٩.

(٣) المقريزى، المواعظ والاعتبار، الجزء الثانى، ص ٢٤٥.

(٤) المقريزى، المواعظ والاعتبار، الجزء الثانى، ص ٢٤٥.

وقد احتفظت لنا البرديات والوثائق التى ترجع إلى العصر الفاطمى بعدد كبير من المظالم أو الالتماسات التى كانت تقدم إلى الخلفاء أو الوزراء أو القضاة أو كبار رجال الدولة، والتى تضمنت بعضها ردود عليها.

التماس مقدم إلى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، مسجل على ورقة محفوظ بمكتبة جامعة كامبردج ضمن مجموعة *Taylor- Schechter* برقم *P.Cam.inv. TS Ar. 42.158 recto* نصه[1]: (لوحة ٥)

١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- صلوات الله وبركاته ونوامى زكواته وأفضل تحياته على مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله
٣- أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين عبد مولانا صلوات الله عليه يستجير بالله
٤- تعالى ذكره وبعدل الدولة النبوية وذلك ان كان له ولد رجل عمره ست وعشرين سنه سافر
٥- من سرسنا فى سميرية هو ورجل تاجر معه شاب أيضاً عمره ست وعشرين سنة ايضا
٦- وفى وسطهما مال عين قدره خمس مائة دينار وبضاعة معهم قدرها مائة دينار
٧- يطلبوا بلد فوة ليدخلا إلى اسكندرية فغدر بهما رئيس السميرية والنواتية
٨- الذين فيها وقتلا الشابين الرجلين المذكورين وأخذوا ما كان معهم
٩- من المال والبضاعة وعبد مولانا صلى الله عليه مستجير بالله تعالى ذكره
١٠- وبعدل الدولة النبوية ثبت الله اركانها يسئل التوقيع الى
١١- خلفاء الأمير الموفق سنان الدولة بالقبض على هاؤلاء النواتية ورئيس السميرية وكشف
١٢- هذا الحال كشف يعلم منه صحة ما ذكره العبد ولمولانا صلى الله عليه عالى الرأى فى ذلك ان شاء الله

هذا الالتماس موجه من رجل إلى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله يطلب منه إصدار أمر بالقبض على العمال القائمين على أحد المراكب ورئيسهم، بسبب أن ابنه وشاب آخر كانوا يستقلون هذا المركب ومعهم ٥٠٠ دينار بالإضافة إلى بضاعة قدرها ١٠٠ دينار ينتقلونها من سرسنا إلى مدينة فوة، فقام رئيس المركب بمساعدة العاملين عليها بقتل ابن هذا الرجل والشاب الآخر المرافق له وسرقة جميع الأموال والبضاعة التى كانت بحوزتهم.

- التماس موجه إلى الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله مسجل على ورقة محفوظ بمكتبة جامعة كامبردج ضمن مجموعة Taylor- Schechter برقم P.Cam.inv. TS Ar. 51.107 recto نصه[2]: (اللوحات ٦-٧)

نص الوجه:

١- المملوك
٢- أبو عبد الله الفران بمصر
٣- بسم اللّه الرّحمن الرّحيم
٤- صلوات اللّه وبركاته ونوامي زكواته وأفضل تحيّاته وسلامه على مولانا وسيّدنا
٥- الإمام العاضد لدين اللّه أمير المؤمنين وعلى آبائه الطّاهرين وأبنائه المنتظرين

(1) Stern, S. M., Three Petitions of the Fatimid Period, Oriens 15 (1962) P. 174.

(2) Stern, Three Petitions of the Fatimid Period, P. 182.

٦- صلاة دائمة باقية إلى يوم الدّين المملوك يقبّل الأرض وينهي إلى المجلس العالي الملكيّ السّامي*****

٧- السّيّديّ الأجلّيّ الجيوشيّ السّيفيّ الكافليّ النّاصريّ كلأه (؟) الهادي اللّه وعضد به الدّين

٨- وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته وأنفذ في البسيطة أوامره وأحكامه

٩- وينهي أنّه رجل صعلوك ذو عائلة واطفال فرّان بمصر وأنّ في قبله

١٠- لرجل يعرف بعبد الباقي بن وردر دين وحاله يضعف عن القيام به

١١- وصاحب الدّين المذكور يطلب به الطّلب الخبيث والمملوك يسئل الإنعام عليه

١٢- والإحسان إليه بخروج الأمر المطاع إلي متولّي الحكم العزيز بالنّظر في

١٣- حاله وتقسيط الدّين عليه على قدر حاله والرّفق به ليجد السّبيل إلى

١٤- المقام بوطنه والقيام بأود عايلته ويحيى حياة مجدّدة ***** في هذه الأيّام الجيوشيّة

١٥- أبقاها اللّه تعالى وخلّد ملك مالكها إنعام عليه وإحسان إليه ***** وللآراء العالية

١٦- ******فضل السّموّ والقدرة والفكرة في ذلك إن شاء اللّه تعالى

١٧- الحمد للّه وحده وصلوات / وصلواته اللّه على النّبيّ سيّدنا محمّد وآله وسلامه وسلّم تسليما

نص الظهر (الجانب الأيمن):

١- رسم إلى القاضى الموفق الأمين كمال الدين

٢- باستيضاح حال رافعها فاذا ثبت عدمه

٣- بما يثبت به مثله فلينظر فى امره بما يوجب الشرع

٤- ويقتضيه المصلحة واقراره وليقره بيده ان شاء الله

نص الظهر (الجانب الأيسر):

١- الملك الحمد لله .....

٢- ليستوضح القاضى الموفق الامين

٣- كمال الدين ....ثقة الأنام شرف الحكام

٤- عز المسلمين مصطفى المؤمنين

٥- أدام الله تأييده وتمكينه وأحسن

٦- عونه وتوفيقه حال رافعها فاذا

٧- ثبت عدمه بما يثبت به مثله فلينظر

٨- فى أمره بما يوجب الشرع

٩- ويقتضيه المصلحة وليقر بيده ان شاء الله

هذا الالتماس على الرغم من ذكر اسم الخليفة العاضد لدين الله وألقابه فى بدايته إلا أنه موجه إلى الوزير[١] وليس إلى الخليفة، ويعود السبب فى ذلك إلى ضعف سلطة الخلفاء فى النصف الثانى من عصر الدولة الفاطمية

(١) يرجح ستيرن أن الوزير المقصود بهذا الالتماس والذى ذكرت ألقابه به هو العادل رزريك بن الصالح طلائع، والذى تولى الوزارة خلفاً لوالده فى الفترة (٥٥٦-٥٥٨هـ/ ١١٦١-١١٦٢)، واعتمد فى هذا الترجيح على ذكر اسم وألقاب الخليفة العاضد لدين الله الذى تولى

وازدياد نفوذ الوزراء حتى أصبحوا هم الحاكمين الفعليين، لذلك نجد أن المتظلم قام بتوجيه الالتماس مباشرة إلى الحاكم الفعلى وهو الوزير، والمتظلم يعرض فى مظلمته شكواه وتضمنت، أنه شخص فقير لا يملك المال وعليه دين لجاره، وأن صاحب الدين لا يصبر عليه ويريد أن يؤذيه، لذا فهو يتوجه بالتماسه إلى الوزير لكى تقوم الدولة بدفع ما عليه من أموال وتقسيطها له حتى يستطيع أن يعيش هو وأولاده فى بلده آمناً مستقراً.

الملاحظ فى هذا الالتماس هو وجود نص آخر على ظهر الالتماس، يبين كيفية التعامل مع الالتماسات المقدمة من المتظلمين من قبل الدولة، فنجد توقيع كل من الموقع بالقلم الدقيق والموقع بالقلم الجليل، فالنص المسجل على يمين ظهر الورقة به توقيع الموقع بالقلم الدقيق لإرسال الالتماس إلى القاضى ليستوضح ما فى الشكوى ويرد عليها، أما النص المنفذ على يسار ظهر الورقة فهو توقيع الموقع بالقلم الجليل والذى فصل فيه ما ذكر سابقاً، فذكر ألقاب القاضى وطلب منه استيضاح الأمر حسب ما يتطلبه الشرع وأن يقر بيده ما يراه فى هذا الأمر.

- التماس موجه إلى قاضى أو أحد كبار رجال الدولة الفاطمية مسجل على ورقة محفوظ بمكتبة جامعة كامبردج برقم T-S 28.8 نصه[1]:

١- العبيد المماليك
٢- عائلة حبيب الجارى
٣- بسم الله الرحمن الرحيم
٤- مماليك الحضرة السامية الاجلية الشيخية اطال الله بقاها وادام تاييدها ورفعتها وسناها وقدرتها وارتقاها وتمهيدها
٥- وتمكينها وكبت اعداها يقبلون الارض امام مجلسها الكريم وينهون الى مراحمها وفضلها العميم اعتقال مملوكها ولدهم المعروف
٦- بحبيب الجارى بديوان المجلس وانه بسبب استتار نادر الغلام والمماليك يقسموا بالله تعالى ان ولدهم المذكور لا يعرف لنادر الغلام
٧- مستقر وان لم يكن بينهم معاملة وان معرفته به كمعرفة غيره والمماليك حرم منقطعين واطفال له وايتام فى رقبته
٨- مع ابيه شيخ كبير السن وعجوز مسنة قد ذهب بصرهم وطفل اعماء وقد ارتكبتهم العلة والداء والفقر والانقطاع والوحدة

الخلافة الفاطمية فى الفترة (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠-١١٧١م)، وهذه الفترة تناوب على الوزارة كل من طلائع بن رزريك وابنه رزريك ثم شاور وضرغام ثم أسد الدين شيركوه ومن بعده صلاح الدين، ووجد ستيرن أن طلائع كان يلقب بالصالح وابنه تلقب بالعادل فى حين تلقب صلاح الدين بالملك الناصر واتخذ كلاً من شاور وضرغام وأسد الدين شيركوه من لقب المنصور لقباً لكل واحد منهم، وبالرجوع إلى الفجوة الموجودة فى نهاية السطر السادس من الالتماس والتى فقد بسببها لقب الوزير نجد أنها لا تتناسب مع لقب المنصور أو الناصر، لذلك يتبقى كل من لقب الصالح الخاص بطلائع ولقب العادل وهو الخاص برزريك، ومن هنا يميل ستيرن إلى ترجيح أن هذا الالتماس يعود إلى عهد العادل وزريك بن طلائع.

Stern, Three Petitions of the Fatimid Period, P. 184.

(1) Khan, G., Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge University Press, (1993) 392- 393.

٩- وليس لهم من يستر وجوههم من ذل السؤال والبركة بين الناس غير ولدهم حبيب المذكور وقد والله العظيم انقطعوا وضر بحالهم

١٠- طول اعتقاله منذ تسعة شهور وبيعوا فى هذه المدة سترتهم وان فى البيت بنات عواتق ما لهم الا ما عليهم ليلا

١١- ونهارا وجماعة المماليك الكبير منهم والصغير قد تطارحوا على الله سبحانه وعلى الحضرة الاجلية السامية الشيخية

١٢- حرس الله من الغير عزها وخلد السعادات بساحتها وثبت النعم عليها وغيرها وعلى ديانتها فى اجازة تلهفهم

١٣- وسد فقرهم بخلاص ولدهم حبيب المقدم ذكره لما جعله الله تعالى لها من فعل الخير مع الملى والذمى وحببه اليها وجملها

١٤- عليه وبذلها الجهد فيما يرضى الله سبحانه مع كل احد ابتغاء لوجه الله تعالى وقد مهد الله تعالى ذكره لها عند الحضرة العالية

١٥- المالكية الاجلية السيدية الافضلية ثبت الله ملكها وادام ايامها وجعل اعداها مقطعا بيديها وانفذ فى البسيطة اوامرها واحكامها

١٦- من كلامها المسموع والقول المقبول ادام الله تجميع مماليكها ووالله العظيم وحق الانعام شامل ان كان للمملوك المعتقل شى

١٧- يقتات به هو والمماليك يقت كان فى حال الصحة غير الصدقات المنع بها على المملوك وقد انهتكوا وتحيروا وما بقى لهم

١٨- غير الله تعالى ومراحم من يطرح الله فى قلبه الرحمة لهم قبل الحضرة الاجلية زاد الله فى عمرها وحيلها وشد بها ما ضعف

١٩- برحمته امين ورب (؟) العالمين والمماليك قد قصدوا الله تعالى ومراحم الحضرة الاجلية السامية واستشعروا خلاص مملوكها

٢٠- ولدهم على يديها وببركاتها وسعاداتها وما يبقى به من السؤال فى الافراج عن المملوك انعاما على المماليك ورحمة

٢١- ورافة بهم استجاب الله تعالى من جميعهم صالح ما يدعوه لها برحمته امين امين والمماليك يقسمون عليها ..... الله من قلبها

٢٢- اما حققت فيها ظنهم وشملتهم الرحمة والرافة ولها ثبت الله مجدها واهلك حسدتها الراى السعيد الموفق الرشيد فى ذلك ان شا الله

٢٣- الحمد لله وحده وصلواته على محمد نبيه واله الطاهرين وسلم تسليما

على جانب النص

١- وكان قد لزم (؟) على المملوك بكتب ....

٢- عليه بالانعام .....

٣- وغير سؤال للحضرة العالية المالكية بذلك و ....

٤- بالافراج عن المملوك اثبت الله تعالى ذلك لها بعليه على ....

٥- واستجاب من جميعهم فيها صالح الادعية برحمته امين امين امين

فى الزاوية اليمنى أسفل الورقة

١- ثبت

٢- ..... الامر العالى زاده الله نفاذا باطلاق المذكور

٣- .....

هذا الالتماس مقدم من عائلة فقدت عائلها الوحيد نتيجة لسجنه لتستره على أحد الهاربين، وقد تضررت هذه العائلة بسبب سجنه واعتقاله لذلك أرسلت هذا الالتماس بعد مرور تسعة أشهر من اعتقاله تسأل القاضى أن يوافق ويتكرم وينعم عليهم بالإفراج عن عائلهم الوحيد، ويؤكدون أنه ليس له علاقة بهذا الشقى وأن معرفته به معرفة قليلة مثله مثل الآخرين، وأنهم قد أصابهم الضر بعد اعتقاله وباعوا جميع ما يملكون، وبعد إرسال هذا الالتماس نجد توقيع القاضى بالإفراج عن المعتقل وأن يثبت هذا فى الدواوين.

من خلال استعراض الالتماسات الثلاثة السابقة، وما ذكرته المصادر التاريخية عن نظر المظالم فى العصر الفاطمى نجد أن الالتماسات فى العصر الفاطمى كانت توجه إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: الخلفاء (الالتماس الأول الموجه إلى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله) وهذا النوع من الالتماسات يمكن إرجاعه إلى النصف الأول من العصر الفاطمى والذى كان يتميز بقوة الخلفاء وسيطرتهم على زمام الأمور، والذى ينتهى بقدوم الوزير بدر الجمالى إلى مصر وتوليه الوزارة فى النصف الثانى من حكم الخليفة المستنصر بالله.

الفئة الثانية: الوزراء (الالتماس الثانى الموجه إلى وزير الخليفة العاضد لدين الله) وهذا النوع من الالتماسات يرجع إلى النصف الثانى من العصر الفاطمى، مع ازدياد نفوذ الوزراء وسيطرتهم على الحكم، مع ضعف الخلفاء، وكان المتظلم يسجل فى بداية الالتماس اسم وألقاب الخليفة الفاطمي كمظهر من مظاهر الاحترام يليه ألقاب الوزير وتوجيه الشكوى والمظلمة إليه مباشرة.

الفئة الثالثة: القضاة وكبار رجال الدولة (الالتماس الثالث الموجة إلى أحد القضاة).

وكانت هذه الالتماسات ترسل إلى الموقع بالقلم الدقيق والموقع بالقلم الجليل لتوضيح كيفية التعامل مع الالتماس (الالتماس الثانى) من حيث إرساله إلى الخليفة أو الوزير أو القاضى وبعد أن يرسل الالتماس إليه، يوقع بيده ويقر بما يراه فى الشكوى مثلما نرى فى الالتماس الثالث من إطلاق سراح المعتقل كما طلبت أسرته، ويثبت هذا الإجراء فى مجلس الديوان.

نظر المظالم فى عهد الدولة الأيوبية:

خصص صلاح الدين يومين كاملين فى الأسبوع يجلس للعدل بين الناس كل يوم اثنين وخميس فى مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء، حتى يصل إليه كل أحد من كبير وصغير ورجل وامرأة، وهذا المجلس كان يعقد فى وقته مهما كانت الأحوال (سواء كان السلطان فى سفر أو حضر، ولم يستغيث به إنسان إلا وقف وسمع قضيته

وكشف ظلمته) وكان يقول مقولته المشهورة: "أما أنا فلأن أخطئ فى العفو أحب إلى من أن أصيب فى العقوبة"، كما استمر جلوس العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين للمظالم فى يومى الاثنين والخميس أيضاً[١].

وقد وصلتنا عدد من الوثائق التى تتضمن التماسات قدمت إلى سلاطين وملوك الدولة الأيوبية للتظلم من وجود ظلم يقع على الرعية، وتضمن بعض هذه الالتماسات على ردود من السلاطين والملوك.

التماس مقدم إلى السلطان الملك العادل من تجار إيطاليين مسجل على ورقة محفوظة بـ "Archivio di stato, Pisa" برقم P.Flor.Arab. 23 نصه[٢]: (لوحة ٨)

الجانب الأيسر أعلى الورقة: المماليك التجار – المظلومين

١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- يقبلون الأرض بالمقام العالى المولوى المالكى السلطانى العادلى خلد
٣- الله ايامه ونشر فى اقطار الأرض اعلامه وجعل ملايكة السماء تنصر
٤- جنوده وملوك الأرض عبيده، وينهون انهم قوم مظلومين لانهم
٥- قوم تجار أقلعا من بيروت ودخلا محروسة اسكندرية وأخذ منهما
٦- الحق كما جرت عادة من تقدمهم وهو فى امان الله وامان هذه الدولة الرحيمة
٧- وتبضعا كما جرت عادة من تقدمهم من التجار وطلبا السفر فمنعا وقيل
٨- لهما انكما من قبرص وليس فيهما احد من الموضع المذكور الا فيهما بيزانه
٩- وبنادقة وآخر من بيروت وآخر من إقريطش وآخر من جزيرة بنى عمر
١٠- مودقيمه مملوك المولى معز الدين ولهما اليوم سنة معوقين وكان قد
١١- تبضعا بكثرة بضاعتهما سمك بورى وقد تلف ورموه ولم يبقا
١٢- لهم الا اليسير من مالهم ومركبهم على التلاف فى البحر فيطلبون من المراحم السلطانية
١٣- النظر فى امرهم والرحمة لهم بإطلاق سراحهم فهم مساكين ولولا الصدقة عليهم
١٤- الا كانوا قد تلفوا جوعا وحوشى عدل هذه الدولة القاهرة من الظلم
١٥- للتجار وجميع هم العبيد تسعة نفر وانهما أقلعا من بيروت ومعهما
١٦- بعض البضاعة وعبرا على قبرص واشتروا منها باقى بضاعتهم
١٧- ودخلا الديار المصرية أمانين انهم ليس هم موضع هو غير صلح
١٨- الا الكل عبيد هذه الدولة وداخلين تحت طاعتها
١٩- والرأى أعلا والحمد لله وحده

هذا الالتماس مقدم من عدد من التجار الإيطاليين الذين قدموا إلى الاسكندرية واشتروا البضائع، وعندما أرادوا أن يرحلوا منها منعوا من السفر واتهموهم أنهم من قبرص، وكان هناك حرب فى تلك الفترة بين الدولة الأيوبية

---

(١) أحمد خزعل ، الإدارة فى العصر الأيوبى، ص ١٥٤.

(2) Stern, S.M., Petitions from the Ayyubid Period, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London. Vol. 27, No. 1 (1964). P. 2.

وقبرص لذلك كان يمنع قدوم القبارصة إلى مصر، لذلك أرسلوا هذا التظلم إلى الملك العادل يخبروه بقصتهم، وأنهم مروا على قبرص فقط أثناء قدومهم إلى مصر ليتبضعوا منها، ويذكرون أنهم منعوا من السفر لمدة عام لذلك فقد تضرروا من فساد بضاعتهم التى اشتروها من الاسكندرية، لذا يطلبون رفع الظلم الموقع عليهم وتركهم يسافرون من الاسكندرية.

فالالتماس يوضح نوع آخر من الالتماسات التى كانت تقدم للسلاطين والملوك، وهى التماسات لرفع الظلم عن بعض الجنسيات الأخرى التى كانت تقيم أو تعبر داخل الدولة الإسلامية، فنظر المظالم لم يتوقف على الفقراء الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية، ولكنه امتد أيضاً إلى الأغنياء من التجار سواء المسلمين أو غير المسلمين، وسواء مقيمين داخل الدولة الإسلامية أو عابرين فيها فقط، وهذا يدل على تحرى السلاطين إقامه العدل ورفع المظالم عن الجميع دون تفرقة بينهم.

- التماس مقدم من رهبان طور سيناء للسلطان الملك الكامل ومرسوم للرد على الالتماس، مسجل على ورقة محفوظة بـ "*Archivio di stato, Pisa*" برقم *P.Sinai inv. Atiya 14* نصه[1]:(اللوحات ٩-١٠)

الوجه:

١- المماليك ....
٢- رهبان طور سينا ..... الله
٣- بسم الله الرحمن الرحيم
٤- يقبلون الأرض بالمقام العالى المولوى السلطانى المالكى الكاملى خلد الله ملكه
٥- وينهون ان بجانب الدير الذى لهم قريب منه موضع مقدار ثلث فدن طين
٦- سواد بالربوة وفيهم شجرتين زيتون ورمان والعرب قد استولوا عليها
٧- يزرعوها ويأذوهم فيها وسؤالهم خروج الأمر المطاع
٨- زاده الله علوا وشرفا بالصدقة على المماليك
٩- بالطين يزرعون بعد برسم نفقه السكان والذين
١٠- يخطر اليهم من الحجاج وغيرهم .....
١١- .... ودعاهم بدوام هذه الدولة المباركة أنهو ذلك
١٢- والرأى أعلى والحمد لله وحده

الظهر:

١- الحمد لله وبه توفيقى
٢- رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى
٣- الملكى الكاملى الناصرى أعلاه الله وأمضاه
٤- إزالة الاعتراض عن الرهبان بطور سينا
٥- فى الثلثة فدادين التى بأيديهم وان توفر

---

(1) Stern, S.M., Petitions from the Ayyubid Period, PP. 10- 13.

٦- زراعتهم عليهم ويمكنوا من التصرف فيها وان
٧- لا يتعرض لها أحد من العربان ولا يؤذيهم
٨- فيها وسبيل كل واقف عليه من الولاة والنواب
٩- العمل بمضمونه والانتهاء الى مكنونه بعد العلامة
١٠- الشريفة فيه ان شاء الله وكتب
١١- لخمس خلون من شهر رمضان المعظم من سنة ست وستمائة الأمير
١٢- الأجل الصلاح ايده الله محضرها شمائل الجاندار.

ثمَّة المئات من الوثائق العربية الهامة والنادرة التى كتبها خلفاء مصر الإسلامية فى العصر الفاطمى وسلاطين الأيوبين والمماليك وآل عثمان لحماية دير سانت كاترين وحماية ما به من أنفس وممتلكات وغيره، وهذه الوثائق النادرة تلقى الضوء على السيادة السياسية للدولة الإسلامية ومدى قدرتها على حماية المنشآت[١]، ويعد هذا الالتماس أحد هذه الأوراق التى تدل على عدالة الحكام المسلمين تجاه غير المسلمين، وحرصهم على إعادة الحق لأصحابه، فبمجرد إرسال رهبان طور سيناء للتظلم من استيلاء بعض العرب على ثلاثة فدادين بالقرب من الدير، لم يكتفى السلطان بالتوقيع على الالتماس لرد حقوقهم كما هو معتاد فى باقى الالتماسات، بل قام بإصدار مرسوم إلى الولاة والنواب بإزاله الاعتداء الذى أحدثه العربان وأن ترد لهم الثلاثة فدادين وأن توفر لهم زراعتها.

نظر المظالم فى عهد الدولة المملوكية:

كان السلطان الظاهر بيبرس أول من تولى النظر فى المظالم من سلاطين الدولة المملوكية، فأقام دار العدل أسفل القلعة سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م، وكان يجلس بها للفصل فى القضايا المعروضة عليه يومى الخميس والاثنين من كل أسبوع، يحيط به قضاة المذاهب الأربعة وكبار موظفيه الماليين والإداريين وكاتب السر، وكان لا يتخلف عن جلوسه فى دار العدل إلا فى شهر رمضان، وفى عهد السلطان المنصور قلاوون بنى "الإيوان" بالقلعة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م واتخذه مقراً لمجلس المظالم، وبقى كذلك طوال عهده وعهد ابنه الأشرف خليل الذى أدخل عليه بعض الإصلاحات، واستمر الحال هكذا حتى هدمه السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأعاد بناؤه مرة أخرى وأضاف فى مساحته، وقرر أن يجلس فيه يومى الاثنين والخميس كما كان الأمر فى عهد السلطان الظاهر بيبرس[٢].

ويذكر المقريزى ترتيب الجلوس فى مجلس المظالم خلال العصر المملوكى "وكانت العادة أولاً أن يجلس قاضى القضاة من المذاهب الأربعة عن يمينه وأكبرهم الشافعى وهو الذى يلى السلطان ثم إلى جانب الشافعى الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى وإلى جانب الحنبلى الوكيل عن بيت المال ثم الناظر فى الحسبة بالقاهرة ويجلس على يسار السلطان كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين المعروفين بكُتاب الدست وموقعى الدست وتكملة حلقة دائرة فإن كان الوزير من أرباب الأقلام كان بين السلطان وكاتب السر وإن كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية أرباب الوظائف وإن كان نائب السلطنة فإنه يقف من أرباب الوظائف ويقف من وراء السلطان

---

(١) سعيد مغاورى محمد، التراث العربى فى وثائق دير سانت كاترين فى العصور الوسطى بشبه جزيرة سيناء، ندوة البردى والمخطوطات العربية فى أفريقيا، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ديسمبر ٢٠٠١م، ص ٢٠٧.

(٢) خالد محمد الحريرى، قاضى القضاة، ص ١١٠.

صفان عن يمينه ويساره من السلاحدارية[١] والجمدارية[٢] والخاصكية[٣] ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعاً عن يمنته ويسرته ذوو السن والقدر من أكابر أمراء المئين ويقال لهم أمراء المشورة ويليهم من أسفل منهم أكابر الأمراء وأرباب الوظائف وهو وقوف وبقية الأمراء وقوف وراء أمراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لإعطاء قصص الناس وإحضار الرسل وغيرهم من الشكاة وأصحاب الحوائج والضرورات فيقرأ كاتب السر وموقعو الدست القصص على السلطان فإن احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيما يتعلق بالأمور الشرعية والقضايا الدينية وما كان متعلقاً بالعسكر فإن كانت القصص فى أمراء الإقطاعات قرأها ناظر الجيش فإن احتاج إلى مراجعة فى أمر العسكر تحدث مع الحاجب وكاتب الجيش فيه وما عدا ذلك يأمر فيه السلطان بما يراه"[٤].

ويتضح مما أورده المقريزى مدى ما وصل إليه مجلس المظالم من هيبة فى عصر الدولة المملوكية، كما يتضح أن السلطان كان يحرص على حضور جميع كبار الدولة بالمجلس ليتيح له ذلك اتخاذ القرارات الصائبة وسرعة الفصل فى المظالم دون إرجائها لوقت آخر، فوجود ممثلين عن جميع الهيئات داخل المجلس يسرع فى الإجراءات المتخذة من قبل السلطان، كما يظهر فيما أورده المقريرزى أن السلطان إذا احتاج مشورة فى الأمور الشرعية كان يلجأ إلى القضاة الجالسين بجانبه، وإذا كانت هناك مظالم تخص الإقطاعات قرأها وأعطى الرأى بها ناظر الجيش، فتكوين المجلس بهذا الشكل يعجل بالإجراءات، ولم يتغير شكل المجلس أو طريقة الجلوس به إلا فى أحيان قليلة خلال العصر المملوكى التى حرص جميع السلاطين على أن يظل بهذا التكوين الشامل لجميع الفئات.

وقد احتفظت لنا البرديات والوثائق التى ترجع إلى العصر المملوكى بعدد كبير من المظالم أو الالتماسات التى كانت تقدم إلى السلاطين، والتى تضمنت بعضها ردود عليها.

---

(١) السلاحدار: هو اسم وظيفة اشتهرت فى الدولة الإسلامية ذات الطابع التركى، ويتألف الاسم من لفظين هما، سلاح:العربى، ودار: الفارسى، ومعناه ممسك السلاح، وهو يطلق على كل من كان يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه، كما كان السلاحدارية يقومون بحراسة السلطان: فكانوا مثلا يقف منهم مماليك صغار من السلاحدارية مع الجمدارية وراء السلطان فى حالة جلوسه لدار العدل. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، الجزء الثانى، ص ٥٩٦-٥٩٧.

(٢) الجمدار: هذا الأسم مؤلف من لفظتين: أحدهما من اللغة التركية جاما أو جامه ومعناها الثوب، والثانية دار الفارسية بمعنى ممسك، فيكون المعنى هو ممسك الثوب أو الوصيف الذى يلازم السلطان أو الأمير لإلباسه ثيابه، ويشترك أيضاً فى حراسته، وكان لكل من الأمراء جمداريته يتعهدون إلباسه، ويلازمونه. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، الجزء الأول، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) الخاصكي: هو أحد افراد الخاصكية التى تؤلف فئة من المماليك السلطانية عرفت بهذا الأسم فى عصر المماليك، وكانت هذه الفئة تسمى أيضاً بالجوانية وذلك فى مقابل اسم البرانية أو الخرجية الذى كان يطلق على المماليك والأمراء غير الخاصكية، وكان أفراد الخاصكية ينضمون فى خدمة السلطان وهم صغار، فكان هو الذى يتولى تربيتهم وعتقهم، وبذلك كانوا يصبحون أقرب اليه من سائر مماليكه، وكان الخاصكية يلازمون السلطان فى خلوته وفراغه، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المقدمين، ويحضرون طوال اليوم فى خدمة القصر والأسطبل، وكانوا يقفون عن يمين السلطان ويساره إذا جلس بدار العدل لخلاص الحقوق وإزالة المظالم. حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، الجزء الأول، ص ٤٦٢-٤٦٣.

(٤) المقريزى، المواعظ والاعتبار، الجزء الثالث، ص ٣٣٩.

- التماس مقدم من رجل مقيم بطور سيناء للسلطان الملك بيبرس ومرسوم للرد على الالتماس، مسجل على ورقة محفوظة بدير سانت كاترين بسيناء برقم P.Sinai inv. Atiya 26 نصه[1]: (لوحة ١١)

الوجه:

١- لسلامه الشوبكى مرسوم بإعفاء نخيله
٢- من المغارم ونخيله أوقفه الدير
٣- بسم الله الرحمن الرحيم
٤- المملوك
٥- سلامة الشوبكى يقبل الأرض وينهى
٦- أن المملوك رجل صعلوك ذو عائله وأطفال
٧- وهو مقيم بالطور وله نخل بالطور يقوم بعائلة
٨- والمترددين اليه وسؤال المملوك من صدقة
٩- مولانا السلطان عز نصره توقيع أمر ان
١٠- لا يعارض المملوك فى نخله المذكورة وان يجرى
١١- على السنن القديمة على ما بيده من التواقيع
١٢- وان لا يعارض بظلم ولا بحيف
١٣- طالع المملوك بذلك
١٤- والحمد لله وحده .....

الظهر:

١- بيبرس
٢- رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى
٣- الملكى الظاهرى الركنى انفذه الله تعالى
٤- ان يجرى رافعها سلامة الشوبكى
٥- على ما بيده من التواقيع المستمرة ولا يمكن احد من نخله
٦- ولا من ظلمه ولا من الحيف عليه والنواب كافة
٧- يعتمدون ما رسمناه ومثلناه
٨- كتب فى ثامن شهر شعبان المبارك
٩- سنة تسع وخمسين وستماية

الهامش الأيمن: بالإشارة الكريمة الأتابكية أقطاى

(1) Stern, S.M., Petitions from the Mamluk Period (Notes on the Mamluk Documents from Sinai), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London. Vol. 29, No.2 (1966), PP. 238- 245.

التماس مقدم من شخص يدعى "سلامه الشوبكى" مقيم بطور سيناء بجوار الدير يطلب من السلطان الظاهر بيبرس إعفاء نخيله من المغارم التى تفرض عليها، ويذكر فى آخر الالتماس أن بيده تواقيع سابقة بهذا، وفى ظهر الالتماس نجد مرسوماً صادراً من السلطان الظاهر بيبرس باستمرار نفاذ التواقيع والأوامر التى بيده والتى تنص على عدم تعرض أحد لنخله وعدم فرض مغارم عليها، ويطلب من النواب أن ينفذوا هذا المرسوم منذ صدوره فى تاريخ ٨ شعبان ٦٥٩هـ.

- التماس مقدم من رهبان دير طور سيناء للسلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، ومرسوم للرد على الالتماس، مسجل على ورقة محفوظة بدير سانت كاترين بسيناء برقم *P.Sinai inv. Atiya37* نصه[1]: (اللوحات ١٢-١٣)

الوجه:

١- بسم الله الرحمن الرحيم
٢- المماليك
٣- رهبان دير طور سينا يقبلون الأرض وينهون ان
٤- بالبرية المماليك ضعفاء ومساكين ومقيمين
٥- بالبرية الشاسعة وقائمين بالحجاج الواردين
٦- من الحجاز الشريف وقد تسلطوا عليهم العرب
٧- عرب البرية وصارو يدخلوا الدير وينهبوا
٨- جميع ما للرهبان جوا الدير وبراه ويضربوا الرهبان
٩- ويثاقلونهم وسؤالهم لوجه الله تعالى مرسوم شريف بأيديهم
١٠- بان لا يتعرض اليهم ولا يعبرو لهم دير صدقة عن
١١- مولانا السلطان خلد الله ملكه وأذاق هذه الدولة العادلة
١٢- نعيم أجرهم ودعاهم أنهوا المماليك ذلك
١٣- والحمد لله رب العالمين

الظهر:

١- حسن بن محمد
٢- رسم بالأمر الشريف العالى المولوى
٣- السلطانى الملكى الناصرى
٤- الناصرى أعلاه الله تعالى وشرفه
٥- ان يتامل إنهاء رافعيها باطنا
٦- ويتقدم بان لا يتعرض اليهم
٧- ولا يعبر لهم دير وليعتمد ذلك

---

(1) Stern, S.M., Petitions from the Mamluk Period, PP. 250- 253.

٨- ويعمل بحسبه ومقتضاه

٩- بعد الخط الشريف أعلاه

١٠- ان شاء الله تعالى

١١- كتب فى عاشر شهر ربيع الاخر

١٢- سنة تسع واربعين وسبعماية

١٣- رسالة المجلس السامى الاميرى السيفى

١٤- ظشبغا الدوادار الناصرى أدام الله نعمته

١٥- حسبنا الله ونعم الوكيل

فى الهامش: حسب المرسوم الشريف

التماس مقدم من رهبان دير طور سيناء يتظلمون من تعرض العرب لهم، وأنهم يدخلون إلى داخل الدير وينهبون ما به ويضربونهم، لذا يطلبون عهد أمان من السلطان الناصر حسن بأن لا يتعرضوا لهم ولا يدخلون الدير، وفى ظهر الالتماس مرسوم شريف صدر من السلطان يستجيب لهم ويأمر بألا يتعرض لهم أحد من العرب ويأمر من ينوب عنه بتنفيذ هذا المرسوم منذ صدوره فى ١٠ ربيع الآخر ٧٤٩هـ.

أهم النتائج

- وردت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى تنهى عن الظلم وتتوعد الظالمين، فتضمن القرآن الكريم على ١٩٠آية تقريباً ورد بها لفظ الظلم ومشتقاته، كما تضمنت الأحاديث النبوية على عدد كبير من الأحاديث التى تذكر مواقف من سيرة الرسول تذم الظلم والظالمين.
- حرص الخلفاء الراشدون على نظر المظالم وفصلها عن القضاء لسرعة الفصل بها، وكان أول من فصل القضاء عن المظالم هو الخليفة علي بن أبى طالب كما أوردت المصادر التاريخية، ولكن سيرة الخلفاء الراشدين تؤكد أن الخليفة عمر بن الخطاب كان أول من نظر فى المظالم وفصلها عن القضاء.
- تأثرت الدول الإسلامية المتتالية (الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية والمملوكية) بفصل المظالم عن القضاء، فظهرت وظيفة "قاضى المظالم" التى كانت تختص بنظر المظالم فقط، وكان يعقد لها مجلساً يرأسه الخليفة فى كثير من الأحيان، وفى أحيان أخرى ينوب عنه أحد الوزراء أو القضاة.
- أمدتنا الوثائق العربية بعدد كبير من الالتماسات التى أرسلت من قبل أشخاص فقراء إلى الخليفة، تحتوى هذه الالتماسات على شكاوى تنوعت ما بين جرائم للقتل ونقص مواد تموينية وقضاء للديون واستيلاء على الأراضى ونهب منشآت وغيرها.
- حرص الخلفاء والسلاطين على الرد على المظالم وكان لها نظام مخصص للعرض على الخليفة أو السلطان، سواء كانت تعرض شفوياً أو تعرض من خلال تسجيلها على الأوراق.
- حفظت لنا الوثائق العربية عدداً كبيراً من الردود التى سجلت على ظهر الالتماسات، والتى تؤكد على حرص الخلفاء المسلمين والسلاطين على إقامة العدل ورد المظالم، بل إن العصر الأيوبى والمملوكى تميز بإصدار مراسيم لإعادة الحقوق إلى أصحابها.

محمد محمد مرسى على

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثانى عشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.
- أبى العباس أحمد القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الجزء الثالث، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٤م
- أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ)، الأحكام السلطانية، صححه: محمد حامد الفقى، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٠م
- أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرى (ت٧٧٠هـ)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
- تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى (ت٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثالث، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء السابع، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م
- عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق/ أحمد عبيد، عالم الكتاب، بيروت- لبنان، ١٩٨٤م
- عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، الجزء الحادى عشر، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
- على بن محمد السيد الشريف الجرجانى (ت ٨١٦هـ)، معجم التعريفات، تحقيق/ محمد صديق المنشاوى، دار الفضيلة- القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٢١.
- على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، راجعه: محمد فهمى السرجانى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٨م.

ثانياً: المراجع العربية

- أحمد خزعل ثامر، الإدارة فى العصر الأيوبى (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١٧١١-١٢٥٠م) فى مصر وبلاد الشام واليمن والجزيرة الفراتية، (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.
- حسن الباشا، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- خالد محمد الحريرى، قاضى القضاة ودوره فى دولة المماليك البحرية ٦٥٨-٧٨٤هـ/ ١٢٦٠-١٣٨٢م، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ٢٠١١-٢٠١٢م.
- سعيد مغاورى محمد، التراث العربى فى وثائق دير سانت كاترين فى العصور الوسطى بشبه جزيرة سيناء، ندوة البردى والمخطوطات العربية فى أفريقيا، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ديسمبر ٢٠٠١م.

- سمير عبد الله سليمان، الدواوين فى مصر خلال العصر الفاطمى ٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- ظافر القاسمى، نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى السلطة القضائية، دار النفائس- بيروت، ١٩٧٤م.
- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣م.
- قاسم السامرائى، علم الاكتناه العربى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- محمد عبد القادر أبو فارس، القاضى أبو يعلى الفراء وكتابة الأحكام السلطانية، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٧٤م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Diem, W., ArabischeBriefe auf Papyrus und Papieraus der Heidelberger Papyrus-Sammlung, ottoHarrassowitz, Wiesbaden, 1991.
- Khan, G., Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge University Press, (1993).
- ……. , The historical development of the structure of medieval Arabic petitions, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 53 (1990).
- Krachkovsky I. J., Drevneyshiy Arabskiy Dokumentiz Sredney Azii. In: Izbrannyesochineniya, I, Moscow- Leningrad, 1955.
- Stern, S.M., Three Petitions of the Fatimid Period, Oriens 15 (1962).
- ……. , Petitions from the Ayyubid Period, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London. Vol. 27, No.1 (1964).
- ……. , Petitions from the Mamluk Period (Notes on the Mamluk Documents from Sinai), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London. Vol. 29, No.2 (1966).

(لوحة ١) عن: قاسم السامرائى، علم الاكتناه العربى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٥٢٥.

(لوحة ٢) عن:

Khan, G., The historical development of the structure of medieval Arabic petitions, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 53 (1990), Plat III.

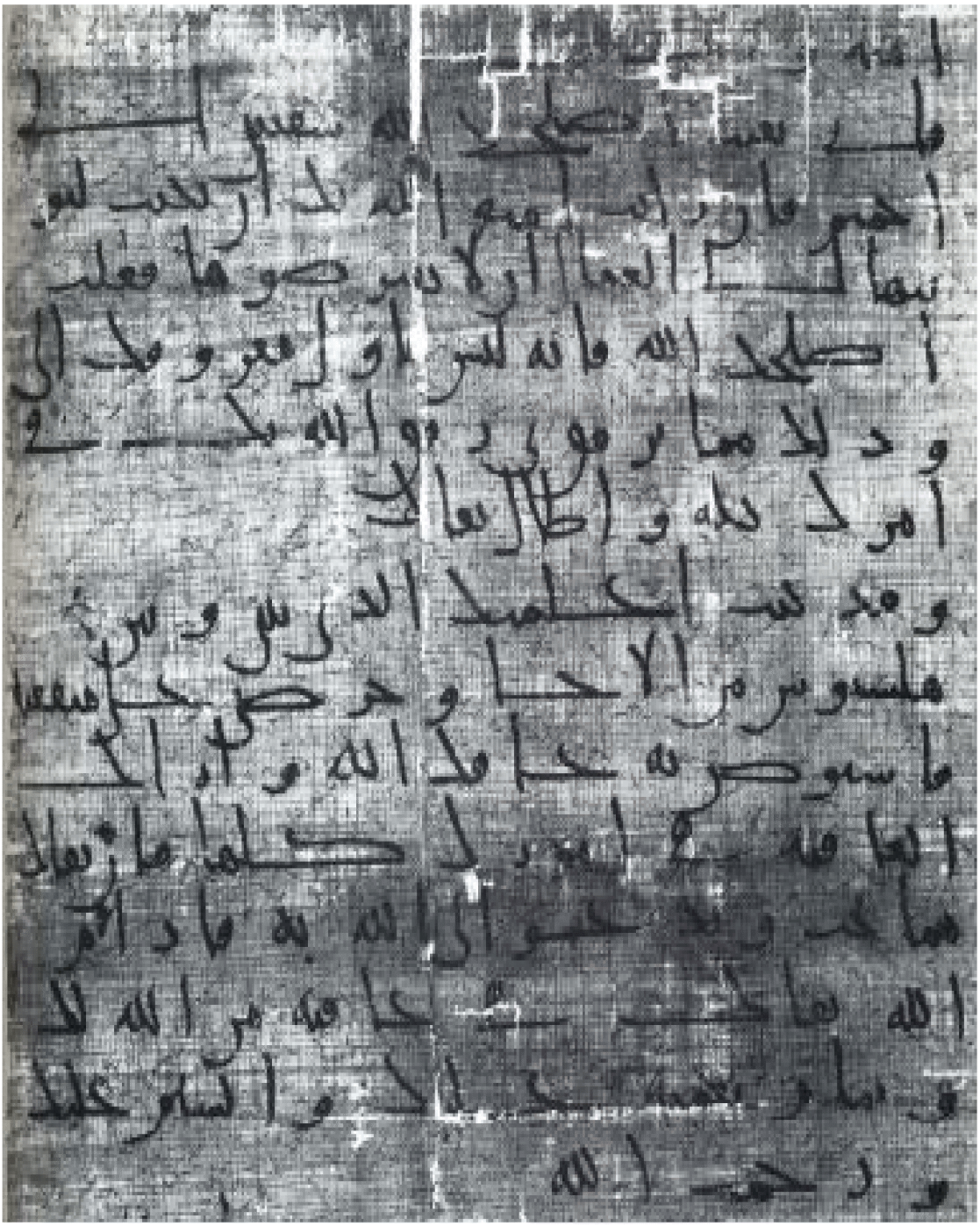

(لوحة ٣) عن:

Diem, W., Arabische Briefe auf Papyrus und Papieraus der Heidelberger Papyrus-Sammlung, ottoHarrassowitz, Wiesbaden, 1991, Tafel 1.

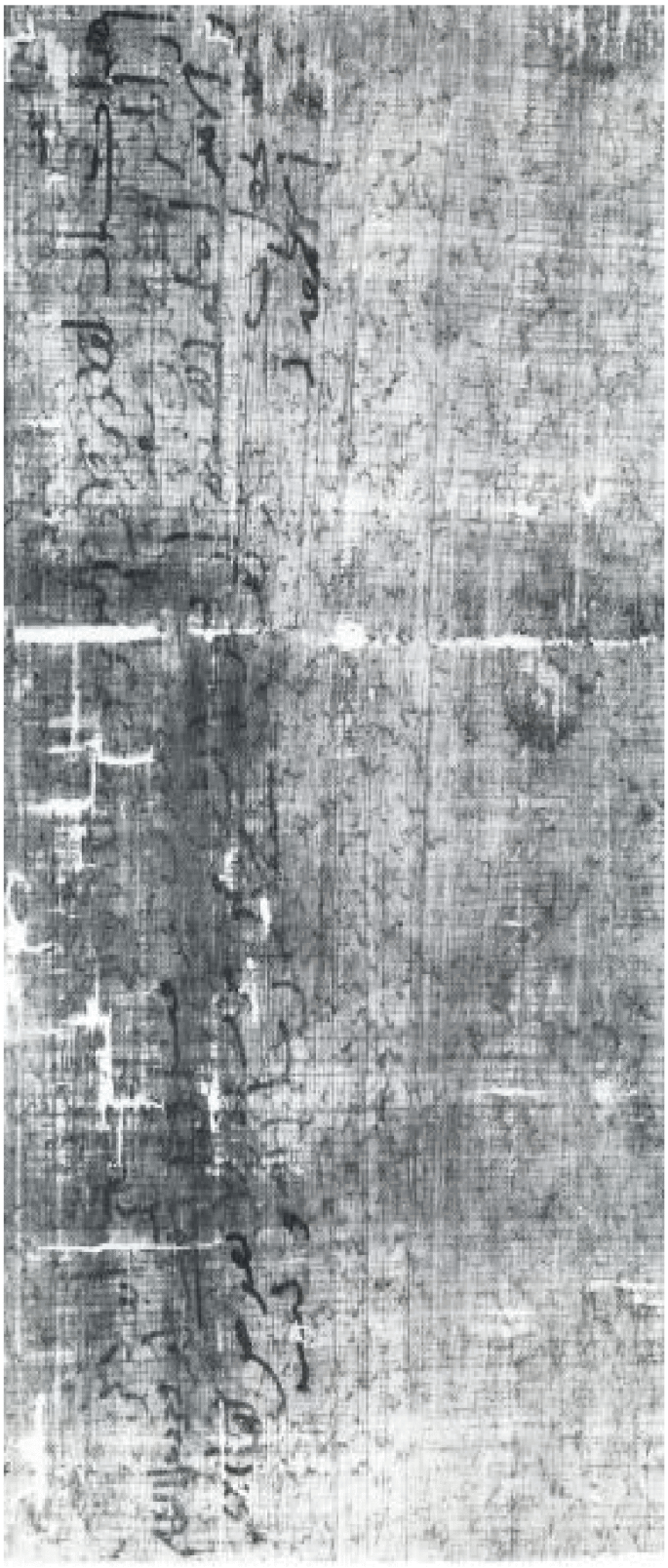

(لوحة ٤) عن:
Diem, Arabische Briefe auf, Tafel 2.

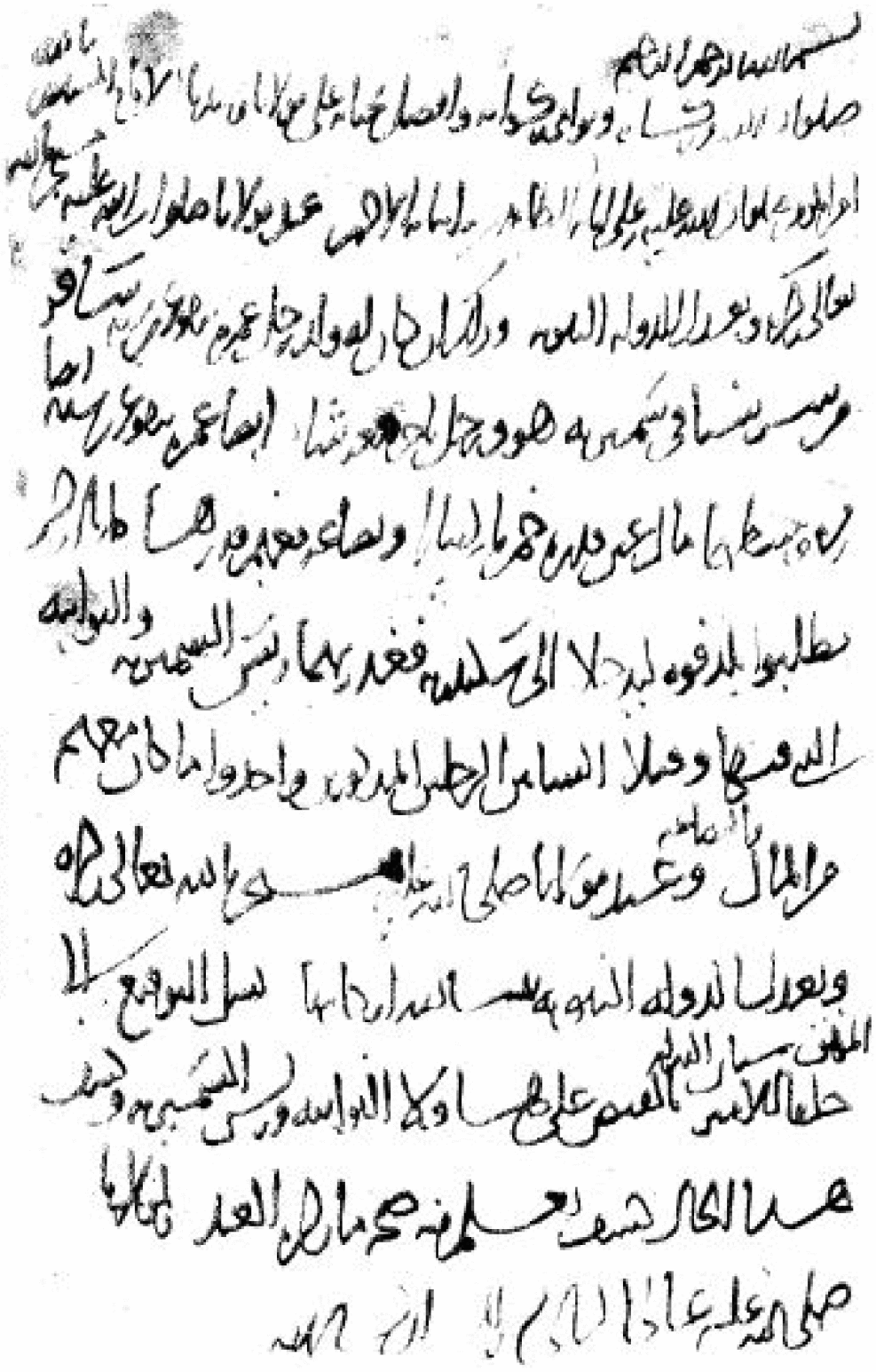

(لوحة ٥) عن:
Stern, S.M., Three Petitions of the Fatimid Period, Oriens 15 (1962), Plat I

(لوحة ٦) عن:
Stern, Three Petitions, Plate III

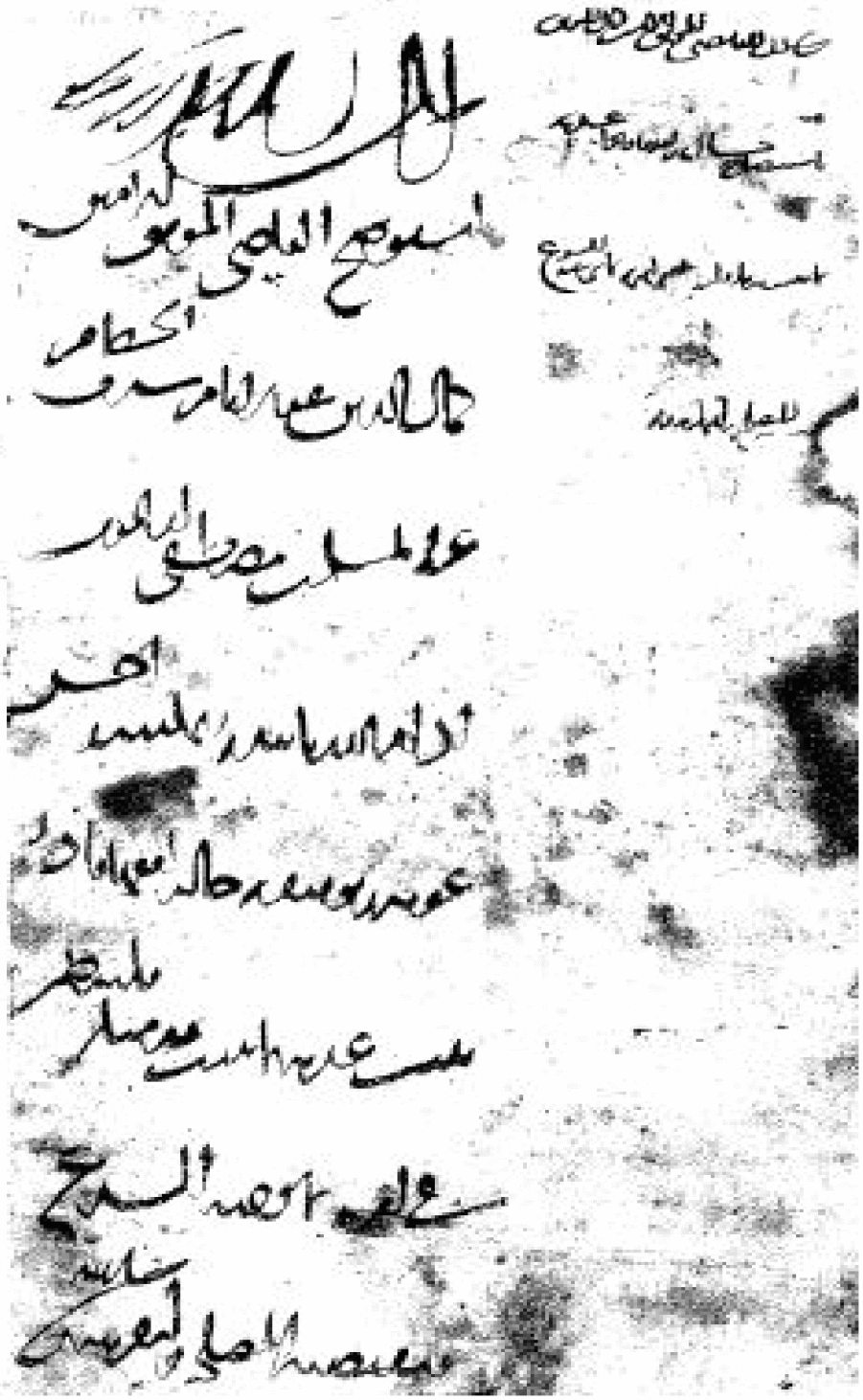

(لوحة ٧) عن:
Stern, Three Petitions, Plate IV

(لوحة ٨) عن:

Stern, S.M., Petitions from the Ayyubid Period, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London. Vol. 27, No.1 (1964), Plate I

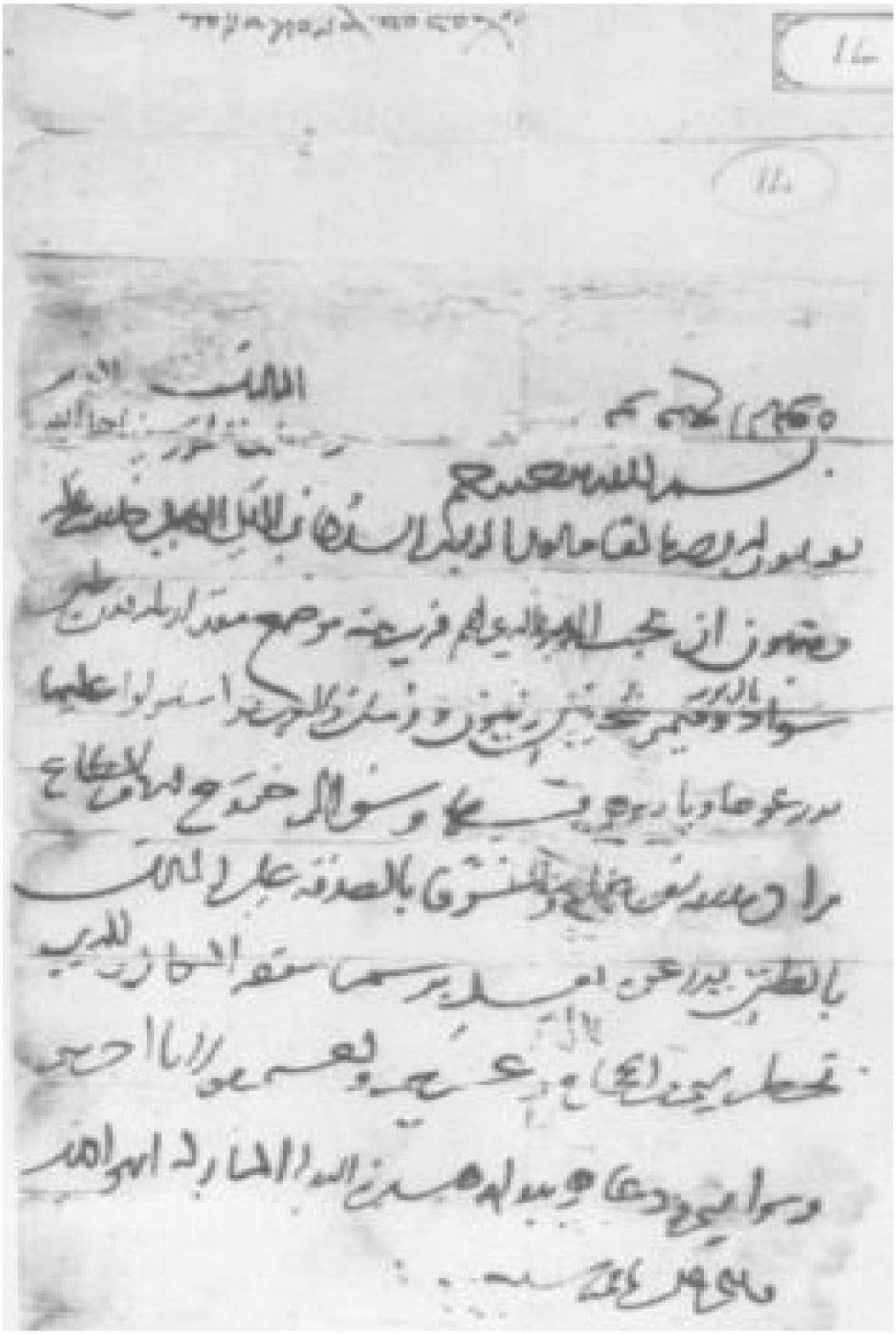

(لوحة ٩) عن:
Stern, Petitions from the Ayyubid Period, Plate II

(لوحة ١٠) عن:
Stern, Petitions from the Ayyubid Period, Plate III

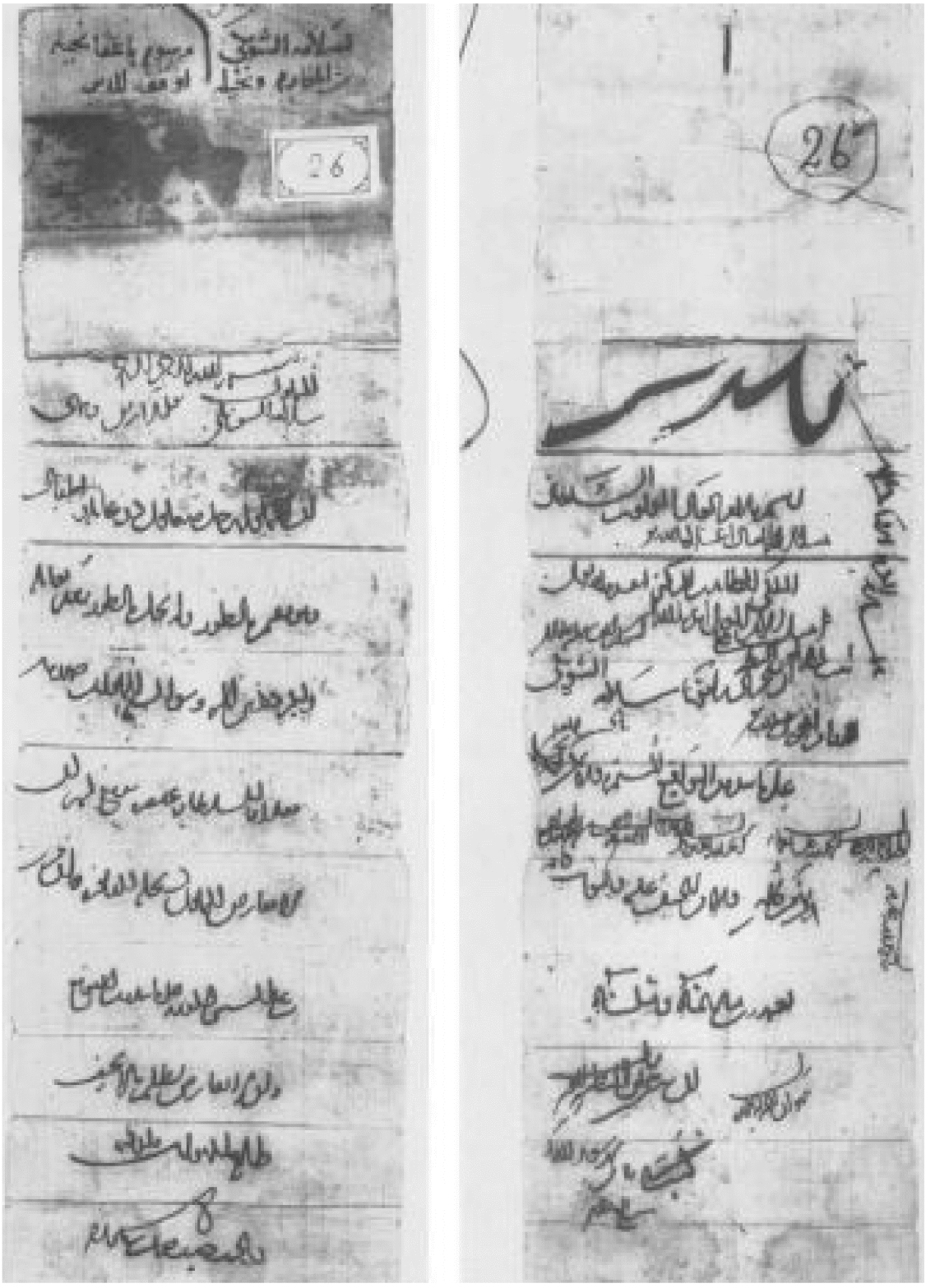

(لوحة ١١) عن:

Stern, S.M., Petitions from the Mamluk Period (Notes on the Mamluk Documents from Sinai), Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London. Vol. 29, No. 2 (1966), Plate I.

(لوحة ١٢) عن:
Stern, Petitions from the Mamluk Period, Plate II

(لوحة ١٣) عن:

Stern, Petitions from the Mamluk Period, Plate III